الملتقى الوطني الموسوم بجهود علماء الغرب الإسلامي في معالجة الآفات الاجتماعية

الطالبة: حمامة ميلودي

الدرجة العلمية: طالبة دكتوراه

المشرف: أ.د. كمال قدة

التخصص: التفسير وعلوم القرآن

الهيئة العلمية: مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية–كلية العلوم الإسلامية–جامعة الوادي.

البريد الإلكتروني للطالبة:hamama-miloudi@univ-eloued.dz

البريد الإلكتروني للمشرف:gueddakamel@gmail.com

المحور الثالث: مؤلفات العلماء المختصة بمعالجة الآفات الاجتماعية(كتب– رسائل– نصوص)

عنوان المداخلة: المنهج الإصلاحي الاجتماعي عند الإمام الثعالبي من خلال كتابه الإرشاد لما فيه من مصالح العباد(دراسة تحليلية وصفية)

مـــقـــدمـــــــــة

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وصفيه من بين خلقه وخليله، أرسله ربه بشيرا ونذيرا وداعيا إليه بإذنه وسراجا منيرا، أما بعد، فقد اهتم العلماء على مر العصور والأزمان بمعالجة الواقع الإسلامي الذي تتخلله بعض الآفات الاجتماعية التي نخرت في جسد الأمة الإسلامية، ومن هؤلاء العلماء؛ علماء المغرب الإسلامي الذين كان لهم الدور البارز في معالجة مختلف الآفات الاجتماعية في منطقة الغرب الإسلامي.

1.التعريف بالموضوع:

إن إصلاح المجتمع الجاهلي كان أولى أولويات واهتمامات رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث عالج النبي صلى الله عليه وسلم مختلف الآفات الاجتماعية على عهده في مكة المكرمة والمدينة المنورة، وهذا ما جعل علماء الأمة من بعده في مختلف بقاع العالم يُكملون مسيرة الإصلاح الاجتماعي اقتداءً وتأسيًا بنبيهم صلوات الله وسلامه عليه، ومن بين العلماء الذين اهتموا بالإصلاح الاجتماعي فهما وتنزيلا على واقعهم العلامة عبد الرحمان الثعالبي من خلال كتابه الذي سماه بالإرشاد لما فيه مصالح العباد، فاسم الكتاب يدل على مضمونه ومحتواه الإصلاحي لمختلف القضايا الاجتماعية.

2.أهمية الموضوع:

- المكانة المرموقة للعلامة عبد الرحمان الثعالبي في الغرب الإسلامي.
- التأثير الكبير لعبد الرحمان الثعالبي في معالجة الواقع الاجتماعي الجزائري.
- .المشقة الكبيرة التي واجهها الإمام الثعالبي في معالجة الآفات الاجتماعية.
- صعوبة عملية الإصلاح الاجتماعي في الوقت الراهن.
- الانحطاط الأخلاقي الاجتماعي في عصر الإمام الثعالبي.

3.الإشكالية:

- من هو الإمام عبد الرحمان الثعالبي؟
- ما هو منهج الإمام الثعالبي الإصلاحي في معالجته للآفات الاجتماعية من خلال كتابه الإرشاد؟

وهل يعد كتاب الإرشاد لما فيه من مصالح العباد من كتب الإصلاح الروحي للمجتمعات(التصوف)؟

ما هي المميزات العلمية والمنهجية لكتاب الإرشاد لما فيه من مصالح العباد؟

4.الدراسات السابقة:

1.التصوف في نظر الثعالبي، مكي عبد الكريم، جامعة تلمسان.

2.المقاصد الكبرى عند الشيخ عبد الرحمان الثعالبي في تفسيره من خلال الأحاديث النبوية، د.عبد المجيد بيرم، أستاذ محاضر بكلية العلوم الإسلامية، -جامعة الجزائر-.

5.منهجية المعالجة والتقسيم:

إنّ هذا النوع من المواضيع العلمية يقتضي معالجته بكيفيات ومناهج خاصة به لاسيما وأنّه يتعلق بمعالجة الآفات الاجتماعية من خلال كتاب معين، فارتأيت معالجته بالمناهج العلمية الآتية:

- المنهج الوصفي: حيث تتضح معالمه ظاهرة في وصف سيرة الإمام الثعالبي و كتاب الإرشاد لما فيه مصالح العباد.
- المنهج التحليلي: يبرز في تحليل الظاهرة الاجتماعية من خلال كتابه ومعالجتها بروح العصر.

وقد قمت بتقسيم المداخلة وفق الخطة الآتية:

المبحث الأول: ترجمة الإمام الثعالبي

المطلب الأول: حياته الشخصية.

المطلب الثاني: حياته العلمية.

المطلب الثالث: مكانته العلمية.

المبحث الثاني: نبذة عن كتاب الإرشاد لما فيه من مصالح العباد.

المطلب الأول: منهجه في الكتاب ومحتوياته.

المطلب الثاني: أهمية الكتاب.

المطلب الثالث: المميزات العلمية والمنهجية للكتاب.

المبحث الثالث: منهج الإصلاح الاجتماعي في كتاب الإرشاد لما فيه من مصالح العباد.

المطلب الأول: القضايا الاجتماعية.

المطلب الثاني: القضايا الأخلاقية.

المطلب الثالث: القضايا الروحية

المبحث الأول: ترجمة عبد الرحمان الثعالبي.

سيكون الحديث في هذا المبحث عن بعض الأمور التي تتعلق بحياة الإمام الثعالبي الشخصية؛ كاسمه ومولده ووفاته، وأيضا حياته العلمية، والآثار العلمية التي ألّفها الثعالبي وتركها للأمة الإسلامية من بعده.

المطلب الأول: حياته الشخصية.

1.اسمه ونسبه ومولده:

هو عبد الرحمان بن محمد بن مخلوف الجعفري الثعالبي الجزائري[1]، وهو ما ذكره الثعالبي في مؤلفاته، فهو ثعالبي جعفري جزائري، أمّا الثعالبي فهي نسبة إلى موطن الثعالبة الذين يعدون بطنا من بطون العرب قدموا من الجزيرة العربية إلى الجزائر وأقاموا بها، وكوّنوا إمارة الثعالبي بسهل متيجة، و الجعفري فهي نسبة تمتد إلى جعفر بن أبي طالب الطيار رضي الله عنه وهو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، والجزائري نسبة إلى جزائر بني مزغنة، وفي الوقت المعاصر نسبة إلى مدينة الجزائر، وبلد الجزائر[2].

ولد عبد الرحمن الثعالبي سنة 786هـ-1385م بوادي يَسّر الواقعة جنوب شرق العاصمة الجزائرية على بعد 86كم، وتسمى حاليا ولاية بومرداس[3].

2.نشأته:

نشأ الثعالبي وترعرع في بيئة محافظة، فكان أبوه وجده يعلمانه أحسن تعليم، ويربيانه أحسن تربية إيمانية في واقع ملؤه الصلاح والتقوى بالمنطقة التي وُلد فيها، فَكَبُر على العلم منذ طفولته إلى أن أصبح شابا، فحفظ القرآن الكريم ، وتعلم الكتابة، وقدكان جادا في تحصيل العلوم النافعة في شتى الميادين، يقول عن رحلته:" رحلت في طلب العلم في أواخر القرن الثامن، ودخلت بجاية في أوائل القرن التاسع، فلقيت الأئمة المقتدى بهم، أصحاب سيدي عبد الرحمن الوغليسي متوافرين، فحضرت مجالسهم، وكانت عمدة قراءتي بها على سيدي علي بن عثمان المانجلاتي رحمه الله بمسجد عين البربر"[4] ويستنبط من خلال هذا

---

[1] ينظر: تاريخ الجزائر العام، عبد الرحمان الجيلالي، ج2/ص280.

[2] ينظر: الفكر السامي في تاريخ الفكر الإسلامي، محمد الحجوي،ج2/ص342، وجامع الأمهات في أحكام العبادات، عبد الرحمان الثعالبي، ج1/ص 78.

[3] ينظر: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد ابن سالم مخلوف، ج1/ص382 وتاريخ الجزائر العام، الجيلالي، ج2/ ص280

[4] الجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمان الثعالبي، ج1/ ص11.

أنه نشأ منذ صغره في الطاعة والعبادة وطلب العلم، فكان من الشباب الصالحين الملازمين للخير المعاشرين للعلماء، فأنفق شبابه في طلب المعالي حتى بلغ إلى أعلى المراتب، وأيضا قام برحلات في المناطق المجاورة قبل أن يستقر في رحلته ببجاية، فأخذ خلالها عن أئمة المنطقة وحفظ القرآن والمتون وحضر دروس الشيوخ[5].

3.وفاته:

توفي الإمام الثعالبي في صبيحة يوم الجمعة الثالث والعشرين من شهر رمضان سنة خمس وسبعين وثمانمائة للهجرة الخامس عشر من شهر مارس 1470م، فحُمل جثمانه من بيته القريب من الجامع الأعظم ودفن بالمقبرة المعروفة بجبانة الطلبة، تقع في ربوة خارج باب الوادي، وصارت تعرف باسمه[6] وخلفت وفاة الإمام الأعظم في ذلك الزمان حزنا عميقا في كل ربوع وطننا الحبيب، وهذا إن دل فإنما يدل على المكانة التي يحتلها في نفوس الشعب الجزائري.

المطلب الثاني: حياته العلمية

إنّ الحديث عن جوانب حياة الإمام الثعالبي العلمية ترتكز أساسا عن المشايخ الذين تعلم على يديهم، وأيضا الرحلات العلمية التي قام بها في سبيل طلب العلم، والتلاميذ الذين تتلمذوا على يديه.

1.مشايخه[7]:

*أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن محمد النقاوسي البجائي.

*أبو الحسن علي بن عثمان المنجلاتي البجائي الزواوي.

*علي بن موسى بن عبد الله بن محمد بن هيدور التادلي البجائي.

*أبو الربيع سليمان بن الحسن البوزيدي الشريف التلمساني.

*بلقاسم بن محمد بن عبد الصمد الزواوي المشدالي البجائي.

*أبو مهدي عيسر بن أحمد بن محمد بن يحي الغبريني.

*أبو عبد الله محمد بن خلف بن عمر التونسي الوشتاني الأبي.

*أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق العجيسي المعروف

---

[5] جامع الأمهات في أحكام العبادات، عبد الرحمن الثعالبي، ج1/ ص82.

[6] ينظر: تاريخ الجزائر العام، الجيلالي، ج2/ ص283.

[7] ينظر:جامع الأمهات في أحكام العبادات، ج1/ ص139-150.

بالحفيد.

2.تلاميذه[8]:

*أبو العباس شهاب الدين أحمد بن عبد الله الزواوي الجزائري

*أبو عبد الله محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي الحسني التلمساني.

*أبو الحسن علسي بن محمد التالوتي الأنصاري

*أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي الشهير بابن زروق.

*عيسى بن سلامة بن عيسى البسكري

*عبد الباسط بن خليل بن شاهين الملطي ثم القاهري الحنفي الشهير بابن الوزير.

*عبد الرحمن بن علي بن عبد الله الغبريني البجائي.

*أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد بن الخطيب بن مرزوق العجيسي التلمساني الشهير بابن مرزوق الكفيف.

المطلب الثالث: مكانته العلمية.

إنّ المكانة العلمية لأيّ عالم من العلماء تبرز من خلال أقوال العلماء فيه أو من خلال مؤلفاته العلمية، وهنا اخترت الحديث عن مكانة الإمام الثعالبي العلمية من خلال مؤلفاته.

يتحدث المؤرخ الجيلالي في تاريخه عن مكانة الإمام الثعالبي العلمية من خلال مؤلفاته العلمية التي اجتهد في تأليفها طوال حياته فقال :" اعتكف الشيخ على التدوين والتأليف وأغلب عمّه من ذلك خدمة علوم الشريعة المطهرة، وله في ذلك الباع الطويل فلقد ترك ما يزيد على التسعين مؤلفا بين متون وشروح وحواشي وتعاليق وكتب مستقلة في الوعظ والرقائق والتفسير والفقه والحديث والتاريخ"[9]، ومصنفاته متفاوتة الأحجام، وسأتطرق فيما يأتي لمؤلفاته العلمية النافعة[10]:

- الجواهر الحسان في تفسير القرآن.
- المعجم المختصر.
- تحفة الإخوان في إعراب بعض آي القرآن.

---

[8] ينظر: المصدر السابق، ج1/ ص156-164.

[9] تاريخ الجزائر العام، الجيلالي، ج2/ص282.

[10] ينظر: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن سالم مخلوف، ج1/ ص382.

•الذهب الإبريز في تفسير الغريب وإعراب بعض آي القرآن العزيز.

•المختار من الجوامع في محاذاة الدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع.

•نفائس المرجان في قصص القرآن.

•الأربعون حديثا المختارة.

•إرشاد السالك.

•شرح مختصر ابن الحاجب الفرعي.

وإنّ من مؤلفات الثعالبي التي تميّز فيها عن غيره من علماء عصره وزمانه وحتى الذين سبقوه والذين أتوا بعده مؤلفاته التي صبغها بالصبغة الأثرية الروحية وهي[11]:

•العلوم الفاخرة في النظر في أمور الآخرة.

•رياض الصالحين.

•الأنوار المضيئة في الجمع بين الشريعة والحقيقة

•الدر الفائق المشتمل على أنواع الخيرات في الأذكار والدعوات

•نور الأنوار ومصباح الظلام.

•قطب العارفين ومقامات الأبرار والأصفياء والصديقين.

•الأربعون حديثا في الوعظ والرقائق.

•الإرشاد لما فيه من مصالح العباد وهو الكتاب الذي قصدت دراسة جزء منه لما له تعلق وثيق جدا بعنوان المداخلة، وسأبين الترابط الوثيق في المبحث القادم إن شاء الله.

[11] ينظر: معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، (ج5/ص192) و معجم أعلام الجزائر-من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، عادل نويهض، (ص374/377/ 400/ 403/ 404/ 414) وتاريخ الجزائر العام، الجيلالي،(ج2/ ص 282).

المبحث الثاني: نبذة عن كتاب الإرشاد لما فيه من مصالح العباد.

إنّ الحديث في هذا المبحث عن كتاب الإرشاد لما فيه من مصالح العباد بإعطاء صورة حول أهميته ومضامينه، والعلاقة التي بين الإرشاد وتفسير الإمام الثعالبي المسمى الجواهر الحسان في تفسير القرآن.

المطلب الأول: منهجه في الكتاب ومحتوياته.

1.منهجه في الكتاب.

•سار الإمام الثعالبي في كتابه الإرشاد لما فيه من مصالح العباد على طريقة المحدثين في كتب متون الحديث؛ وهي طريقة التبويب، أي تقسيم الكتاب إلى أبواب، ثم الترجمة للباب بعنوان معين، وضمّن تحت بعض الأبواب فصولا معينة، ثم يورد الأحاديث النبوية المختلفة في الباب، والحكم والحكايات التي اختارها ورآها مناسبة لموضوع الباب أو الفصل.

•يحتج الإمام الثعالبي في كتابه كثيرا بالأحاديث الضعيفة في فضائل الأعمال والترغيب والترهيب، وهذا هو الرأي الذي سرى عليه في كامل كتابه الإرشاد، بل وفي كل كتبه الأخرى مثل كتاب التقاط الدرر.

2.محتويات الكتاب:

باب في العقيدة، باب في السلوك، باب في فرائض الوضوء، باب في فرائض الغسل، باب في التيمم، باب في أحكام الصلاة، باب في من أخذ أموال النّاس، باب ما جاء في خروج عنق من النار، باب ما جاء في من كظم غيظا، باب ما يجب على الإنسان من محاسبة نفسه، باب ذكر وصية نافعة إن شاء الله، باب في ذكر الموت، باب منه، باب منه في مثال المسوف والموفق، باب في ذكر وصية توبيخ النفس، باب منه، باب في ذكر حديث البراء المشهور، باب ذكر ما ينكشف للعبد عند الموت وثواب من أدخل على مؤمن سرورا، تنبيه، باب في ذكر وصية ووعظ، باب في ذكر الموت والخوف من الله سبحانه، فصل في فضيلة الخوف، باب في اتساع القبر على الرجل الصالح، باب ما جاء أنّ كل إنسان لا يخرج من الدنيا حتى يرى مكانه من الجنة أو النار، باب في كلام الحفظة وملك الموت عند الموت، باب في التوبة وشروطها، باب في تلاقي الأرواح وعرض الأعمال، باب الإسراع بالجنازة وكلامها، باب ذكر حكاية طويلة فيها وعظ ودعاء، باب ما جاء أنّ القبر أول منازل الآخرة وفي البكاء عنده، باب ما يتبع الميت إلى قبره، باب في كلام القبر كل يوم، باب ما ينجي من ضغطة القبر وفتنته، باب في حسن

الثناء على الجنازة، باب في حديث الرؤيا، باب ما جاء أنّ البهائم تسمع عذاب القبر، فصل فيما رآه النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء، باب ما جاء أنّ الميّت يسمع ما يقال، باب في حديث الرؤيا المتقدم عن البخاري، فصل، فصل، باب في أحوال الميت في قبره، باب في حديث إنّما الأعمال بالنيات، والحض على العمل وفضل الذكر وما يتبع العبد من حسن الثناء ومن نفّس عن مؤمن كربة، وفي أنّ من ختم القرآن في أقل من ثلاث لم يفقه وكثرة الذكر، وفي حديث إذا احب الله عبدا، وفي الجليس الصالح وفي إكرام ذي الشيبة، فصل في إثم من اغتاب مسلما أو خذله وفي النميمة والكذب والمراء، باب في التكبر والتواضع وحفظ الجار والصاحب والإحسان إلى اليتيم والأرملة والمسكين وعزل أذى الطريق وفرح الله بتوبة عبده وفي إثم من عادى لله وليا، باب ما جاء في البكاء من خشية الله، باب ما يحذر من محقرات الأعمال وفي المراقبة والحزن وفي قساوة القلب وآفة كثرة الضحك، باب في حسن الثناء على العبد وعلامة الولي وفي إثم من احتقر مسلما وفي ذم الدنيا والتنافر فيها وجملة أحاديث في الزهد، باب فيمن أطعم مؤمنا أو سقاه والخوف والحياء والتحذير من الدنيا وفي التواضع والإيثار ووعيد المتكبرين وفي كظم الغيظ وإصلاح ذات البين، باب فيمن نظر في دينه إلى من هو فوقه وأدنى أهل الجنة وذكر الرؤيا وبحار الجنة وفي ثلاثة يحبهم الله وفي ثلاثة يبغضهم، باب في اجتماع النبي صلى الله عليه وسلم مع الملائكة وفضل كلام الله ووصية النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضي الله عنه والرضا بالقليل من الرزق وفي الصبر وطول العمر والتوكل وفيمن ترك شيئا لله سبحانه، باب في المواعظ والأمثال وأنواع الصدقات وما جاء في السخي والبخيل وفي كظم الغيظ، باب في آفات الرياء وفي أسواق الجنة وفي أنّ الله سبحانه جعل الرحمة مائة جزء، باب في علامة من أحبه الله سبحانه وفي الصمت وخطبة النبي صلى الله عليه وسلم وسؤال جبريل عليه السلام، باب في فضل العلم ووصية لقمان وذكر الخصال التي كانت لسيدنا إبراهيم عليه السلام، باب من حمد الله وفي استجابة الدعاء وحكاية وهب بن منبه ومناجاة موسى عليه السلام وقصة عابد من بني إسرائيل، باب في تعظيم الحديث وفي علو الهمة عن الأكوان وفي اتباع السنة وعلامة الولي وفي المراقبة وجملة آداب وحكم مختصرة، باب في ذكر حكاية لثابت البناني وفضل المراقبة والخوف، باب في كلمات مختارة من حديث الدارانى وحديث سويد بن الحارث وقول ابن أبي عاصم أصلح ما بقي، باب ما جاء أنّ الله سبحانه إنّما ذكر ثواب النوافل في ذكر كلمات وعظية، باب في المعرفة ودلائلها وأبيات لابن الفارض وكلام حسن لإبراهيم الخواص وكلام لأبي حازم وحكاية عن جعفر بن محمد وحكم مالك، باب في حكاية عن موسى بن جعفر وكلام حسن لمجاهد وسري

السقطي والبراثي وأبي جعفر المحولي وأبي إبراهيم السائح، باب في ذكر كلام حسن للتيمي والربيع بن راشد وعمرو بن قيس الملائي ومسعر بن كدام وكلام لصاحب((الحدائق)) والتستري، باب في كلام حسن لابن الكاتب ومحمد بن أحمد بن سالم وعلي بن سهل، باب في ذكر كلام لصاحب شعب الإيمان، باب في ذكر كلام حسن للغزالي، تنبيه باب في آداب الدعاء وفي دعاء إبراهيم لإسماعيل عليهما الصلاة والسلام وفي الاستعاذة من علم لا ينفع، باب في دعاء الحاجة، باب دواء في الوسوسة، باب ما جاء أنّ الدعاء موقوف بين السماء والأرض حتى يصلى على النبي، باب ما يدعى به عقب المجالس وفي القوم يتفرقون ولم يذكروا الله ولم يصلوا على النبي صلى الله عليه وسلم، فصل فيما يدعو به في مرضه، باب دعاء الاستخارة، فصل فيما يقوله صباحا ومساءا، باب منه، باب جامع في فضل الذكر وفي خسارة من مرت عليه ساعة لم يذكر الله فيها وعرض الساعات على العبد وفي فضل أذكار معينة، باب جامع لأنواع من الأذكار وما جاء أنّ غراس الجنة وبناءها بالأعمال الصالحات وفي الباقيات الصالحات، باب منه وفي وصيته صلى الله عليه وسلم وما يقول إذا أوى إلى فراشه وفي أفضل الأعمال، باب ما يقوله دبر الصلوات وما يقوله من تعار من الليل أو حين يأوي إلى فراشه وأحاديث كفارة المجلس، باب في شكر النعمة وفضل آخر الكهف وذاكر الله سبحانه في الغافلين وتفسير سبحة الحديث، باب جامع لما يقوله دبر الصلاة وعند نومه وما يقوله حين يمسي وحين يصبح وعند التيقظ وفي ثواب من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة وفضل قل هو الله أحد، باب في فضل الذكر، باب في الاستغفار، باب جامع لأقوال المشائخ رضي الله عنهم في الدعاء والذكر، فصل في معرفة الحق سبحانه،فصل، فصل، فصل،باب في أذان العبد في أرض قفر وبكاء الأشجار وغيرها عند سماعه وفي البقاع ينادي بعضها بعضا، هل مر بك ذاكر لله عز وجل،باب جامع لفصول محتوية على حكايات وحكم تنشط الناظر فيها لطاعة الله سبحانه،حكاية،حكاية،حكاية،حسنة،حكايةحسنة،حكاية،عجيبة،حكاية،حكاية،حكاية،فصل،حكاية ،حكاية،باب ما رؤي من عجائب الموتى ورفع بعضهم إلى السماء وحكايات فيها عبر، ذكر الثعالبي ستة عشر حكاية[12]،...، كتاب فضل تلاوة القرآن، فصل في تدبر القرآن وتفهمه وترتيله وتحسين الصوت به وفي أنّ كل إنسان ينبغي له أن يقدر أنّه المقصود بكل خطاب في القرآن وغيرها من الفصول

[12] ينظر:الإرشاد لما فيه من مصالح العباد، عبد الرحمن الثعالبي، ص8.

الأخرى والأبواب[13].

يبرز جليا من خلال استعراضي لمضمون كتاب الإرشاد لما فيه من مصالح العباد أنّه كتاب تزكية روحية ووعظ وإرشاد، ركز فيه العلامة عبد الرحمن الثعالبي على جانب تقويم الأرواح والأنفس وتطهيرها وتخليتها من الآثام والآفات الاجتماعية وتحليتها بفضائل الأعمال ومكارم الأخلاق، وأمثلة النزعة الصوفية في الكتاب هو حديثه عن باب ما رؤي من عجائب الموتى ورفع بعضهم إلى السماء، باب في ذكر بعض خواص آيات من القرآن، باب جامع لفوائد شتى لا تنحصر في فن معين، ومن كلام الشيخ أبي عبد الله القرشي، وأيضا إيراده لعديد الحكايات والحكم.

المطلب الثاني: أهمية الكتاب.

•يكتسي الكتاب أهميته من محتواه الذي يرتكز فيه الإمام الثعالبي على مصالح العباد في الدنيا والآخرة صلاحا وإصلاحا.

•يكتسي الكتاب أهمية كبيرة كون مؤلفه هو العلامة عبد الرحمن الثعالبي أحد كبار علماء الغرب الإسلامي.

• موضوع الكتاب هو الوعظ والإرشاد، وهو دأب العارفين الذين حملوا همّ إرشاد الناس وتعليمهم وإصلاحهم ظاهرا وباطنا.

• يعتبر كتاب الإرشاد لما فيه من مصالح العباد من أهم كتب التصوف السني والإرشاد الروحي.

• قال عنه مقدم الكتاب ومحققه محمد فؤاد ابن الخليل القاسمي الحسني، وهو يبين أهميته ومكانته العلمية:"... فيسعد دار الخليل القاسمي أن تقدم للقراء هذا السفر العظيم في التربية والتوجيه والإرشاد، وفي الحديث والأثر، وهو من تأليف أحد أعلام الجزائر المعدودين، الذين يحق لنا، بل و يجب علينا، أن نفخر بهم ونقتفي أثرهم ونقتدي بهم في علمهم وعملهم، إنه الشيخ سيدي عبد الرحمن الثعالبي، وكتابه هذا؛ وإن دلّ عنوانه، أو عده بعضه في كتب التربية وتزكية النفس، وفي التصوف، فهو جدير أن يصنف ضمن كتب الحديث المعتبرة التي يتشرف بها العالم الإسلامي، ويعتز وطننا بعمل أحد أبنائه الأفذاذ في هذه الجادة التي استخلص الله لها من خلقه من ارتضى من الأخيار"[14].

• يتميز هذا الكتاب عن غيره من كتب التصوف الأخرى التي ألّفها العلماء أنّ مؤلفه مغاربي جزائري،

---

[13] ينظر: المصدر السابق، ص5-11.

[14] الإرشاد لما فيه من مصالح العباد، ص21.

فبيئة كل عالم تؤثر في تأليفه لكتبه.

• يمتاز هذا الكتاب بأنه ذو نزعة صوفية روحية معتدلة مستمدة من الكتاب والسنة بعيدة كل البعد عن الدجل والخرافة، وأغلب الكتاب هو أحاديث نبوية متنوعة في مواضعيها وأبوابها، خاصة أن الثعالبي انتقاه وانتخبه من عديد مؤلفات التصوف السني، كالحلية والإحياء والصفوة والبستان والتذكرة والأذكار[15].

• يشتمل الكتاب على أكثر من ألف وخمسمائة حديثا نبويا شريفا، وهو عدد يفوق عدد الأحاديث في بعض كتب الحديث كالمعجم الصغير للطبراني، والمعجم الصغير للطبراني، والأذكار للنووي والمنتقى لابن الجارود، والسنة لأبي بكر الخلال، وبلوغ المرام للحافظ العسقلاني، ومسند الشهاب للقضاعي وغيرها كثير. لدرجة أن القارئ يختلط عليه أيعده كتابا في الحديث النبوي أو في التزكية الروحية[16].

• من بين أبرز النقاط التي يكتسي الكتاب أهميته منها أنه حفظ أعمال بعض رجالات التزكية الروحية بعدما كان أغلب الظن عند العلماء أنها فُقدت، كمختارات من كتاب التبتل لابن عبد الغفور وروضة الحقائق لابن الخلال وغيرها الكثير.

• العدد الضخم للمصادر التي اعتمد عليها الثعالبي في كتابه الإرشاد، حيث اعتمد على ما يقارب مائة وثلاثين كتابا، فهذا يدلل على أهمية هذا الكتاب العلمية والمنهجية.

• يستمد الكتاب أهميته من كونه آخر مؤلف ألفه الثعالبي في حياته في سن متأخر بتصريحه هو فقال:" كمل كتابنا هذا المسمى بالإرشاد، في أواخر ربيع الأول من عام تسعة وستين وثمان مائة، وقد بلغت من السنّ نيّفا عن خمس وثمانين سنة، وهو آخر تأليف ألّفته، ولم آل في جمعه نصحا ولا ادّخرت وسعا"[17].

• لهذا الكتاب علاقة وطيدة بتفسير كلام الله عز وجل، وذلك من خلال تفسير الجواهر الحسان للثعالبي، حيث ضمن العلامة الثعالبي كتاب الإرشاد كتابا سماه "كتاب جامع لجملة من الأحاديث وحكم مختارة من الجواهر وربما تكرر بعضها لفائدة وتفسير جمل من الآي وذكر ما يناسبها من الأحاديث والأحكام" سأتحدث عن تفاصيله في المطلب الثالث من هذا المبحث.

المطلب الثالث: المميزات العلمية والمنهجية للكتاب.

---

[15] ينظر: المصدر السابق، ص53.

[16] ينظر: المصدر نفسه، ص53.

[17] المصدر نفسه، ص670.

تميز كتاب الإرشاد لما فيه من مصالح العباد بعديد المميزات التي تجعل منه من أهم كتب الترغيب والترهيب والتزكية الروحية للأمة الإسلامية، وهذه المميزات استخلصتها من قراءتي للكتاب، فهي تنقسم إلى قسمين؛ بين علمية ومنهجية.

1.المميزات العلمية:

•.الانتخاب العلمي من تفسيره الجواهر الحسان:

يتبين لقارئ كتاب الإرشاد لما فيه من مصالح العباد أنه كتاب يمتاز بربط التصوف بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة؛ فمن القرآن الكريم هو إيراده لحكم مختارة من تفسيره الجواهر الحسان في تفسير القرآن، وقد عنونه" كتاب جامع لجملة من الأحاديث وحكم مختارة من الجواهر وربما تكرر بعضها لفائدة وتفسير جمل من الآي وذكر ما يناسبها من الأحاديث والأحكام" وعقد أيضا بابا سمّاه" باب جامع مشتمل على فصول محتوية على جواهر مختارة من الجواهر" انتخبهما الثعالبي من تفسيره الذي سمّاه بالجواهر الحسان في تفسير القرآن ليكون كتابه هذا من كتب التفسير المختصرة وفق النّسق الذي جرى عليه كثير من المفسرين المعاصرين، فيضع المفسر فيه هدايات وحكم ربانية وتوظيف هذه الجواهر المختارة بعناية من طرف العلامة عبد الرحمن الثعالبي، وانتخابه لهذه الحكم ليس انتخابا عبثيا إنما هو انتخاب مركز مدقق مغلبها أو كلها في التزكية الروحية ومعالجة القضايا الاجتماعية المختلفة[18]، وهذا نموذج من عملية الانتخاب.

الانفطار

قوله سبحانه:﴿ يأيها الإنسان ما غرك بربك الكريم﴾[19] قال ابن عطية: رُوي أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأها، فقال:{ غرّه جهله}، قال الثعلبي: قال أهل الإشارة إنّما قال:﴿بربك الكريم﴾ دون سائر أسمائه تعالى وصفاته، كأنه لقنه جوابه، حتى يقول: غرّني كرمك.

•.تنوع العلوم في الكتاب:

إنّ المستقرئ لكتاب الإرشاد يجد في عديد العلوم والفنون، بداية بالحديث النبوي الشريف وهو غالب الكتاب، ففي كل باب من أبواب الكاتب أو فصوله إلا ويورد مجموعة من الأحاديث النبوية في موضوع الباب، وقد ضمّنه أيضا الحديث عن أبواب من الفقه الإسلامي؛ فنجده يُوردُ عددا من الأبواب الفقهية

[18] ينظر: المصدر السابق،460-640.

[19] سورة الانفطار:6.

في الكتاب وهي:" باب فرئض الغسل، باب في التيمم، باب فرائض الوضوء، باب في أحكام الصلاة"[20] ليُدلل هذا على تنوع الكتاب وعدم انحصاره في فن واحد، كما أورد فيه بعض المواضيع المتعلقة بعلوم القرآن وهي:" كتاب فضل تلاوة القرآن، فصل في تدبر القرآن وفهمه وترتيله وتحسين الصوت به وفي أنّ كل إنسان ينبغي له أن يُقدّر أنّه المقصود بكل خطاب في القرآن، باب ما جاء أنّ تلاوة القرآن أفضل الأعمال وأقربها إلى الله سبحانه واستحباب الجهر به ليلا وما جاء أنّ القرآن شافع، فصل في الصوت الحسن والقرآن بالتحزين"[21].

2.المميزات المنهجية:

•الجمع والترتيب:

تعد خاصية الجمع والترتيب من أهم الخصائص المنهجية التي تضفي على الكتاب صبغة نوعية، وتحقق نسبة أعلى في قراءة الكتاب، حيث تقدم خدمات جمة للقارئ بتيسير القراءة وتسهيلها حتى بالنسبة للإنسان العامي، فالإمام الثعالبي ألّف هذا الكتاب في سفر ضخم جدا، يضم عددا ضخما جدا من الأحاديث النبوية، كما يضم مواضيع متنوعة في عديد العلوم والفنون، كل هذا كان يقتضي منه رحمه الله تعالى أن يؤلف الكتاب في صورة بديعة منسجمة ومنظمة بإحكام، حيث اختار طريقة التبويب للكتاب، فكل موضوع إذا أراد الحديث عنه يترجم له بعنوان معين بكتاب كذا أو بباب كذا أو بفصل كذا، وأحيانا يترجم للباب فيقول:" باب منه" فهنا يشير به إلى ما سبقه من الباب الذي عنون له، ومثال ذلك:" باب في ذكر وصية توبيخ النفس، باب منه"[22] فمحتوى الباب الذي عنون له بباب منه هنا يتكلم عن توبيخ النفس وهو موضوع الباب الأصلي.

•الإيجاز والاختصار:

تبرز هذه الخاصية للمطلع على الكتاب في عرض المادة العلمية التي احتواها الكتاب، فتجد الإمام الثعالبي لا يطيل كثيرا في ذكر أحاديث الباب أو ما يتضمنه الكتاب، حتى وصل به الحال أحيانا أنّه يذكر بابين في الصفحة الواحدة، فمثلا أورد باب ما جاء في خروج عنق من النار وذكر حديثا واحدا في الباب ثم في نفس الصفحة أورد بابا آخر سمّاه بباب ما جاء في من كظم غيظا وأورد فيه أحاديث عن

---

[20] ينظر: الإرشاد لما فيه من مصالح العباد، ص73-78.

[21] ينظر: المصدر السابق، ص424-443.

[22] ينظر: المصدر نفسه، ص93.

كظم الغيظ وروايات أخرى للحديث[23]، كما تبرز هذه الخاصية أكثر في انتخابه لحكم من تفسيره فيوردها بإيجاز واختصار ليَعُمَّ نفعها للقارئ، كما تبرز أيضا في إيراده للأحاديث النبوية بدون ذكر إسنادها كاملا فيكتفي فقط بذكر مَن أخرج الحديث من أئمة الحديث والصحابي الراوي للحديث النبوي، ومثال ذلك قال الثعالبي في باب من أخذ أموال النّاس:" وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنّه قال:{ من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدّى الله عنه...}[24] الحديث.

•الأمانة العلمية:

يمتاز الإمام الثعالبي في كل كتبه التي ألّفها بالأمانة العلمية في النقل عن الأئمة، وهذا واضح في كتاب الإرشاد لما فيه من مصالح العباد، وهذه الميزة في واقعنا المعاصر أصبحت من أهمّ النقاط المنهجية التي تركز عليها الجامعات والمشرفين على الرسائل الجامعية والمحكمين للمقالات العلمية والمناقشين لرسائل التخرج خوفا من وقوع الطالب في السرقة العلمية وهو لا يدري، وأيضا هناك من يتعمد الوقوع في السرقة العلمية، فهاهو الإمام الثعالبي يُعَلّمنا هذه الميزة المهمة جدا، وقد نقل الثعالبي في كتابه الإرشاد عن عديد الأئمة الأعلام فذكر أبوابا في ذلك، منها باب في ذكر كلام حسن للغزالي فقال الثعالبي:" ومن كتاب الإحياء، قال في باب فضل الأذان..."[25] وعندما تعود لكتاب إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي تجد أنّ الإمام الثعالبي قد كان أمينا منهجيا وعلميا في نقله، وهي رسالة يريد توجيهها لنا جميعا عليكم بالتزام هذا المنهج.

المبحث الثالث: منهج الإصلاح الاجتماعي في كتاب الإرشاد لما فيه من مصالح العباد

إنّ القارئ لفهرس ومحتوى كتاب الإرشاد لما فيه من مصالح العباد يلحظ مدى اهتمام الإمام الثعالبي في الكتاب بعملية الإصلاح الاجتماعي من خلال معالجته لعديد القضايا والآفات الاجتماعية بمختلف مستوياتها السلوكية والأخلاقية والروحية، لذا جاء هذا المبحث لتسليط الضوء حول دور كتاب الإرشاد في علاج قضايا المجتمع المتنوعة.

---

[23] ينظر: المصدر نفسه، ص81.

[24] ينظر: صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، كتاب في الاستقراض، باب من أخذ أموال الناس يريد أداءها أو إتلافها، (ج3، ص115)، رقم:2387.

[25] ينظر: الإرشاد لما فيه من مصالح العباد،ص221.

المطلب الأول: القضايا الاجتماعية.

اهتم الإمام عبد الرحمن الثعالبي اهتماما كبيرا بمعالجة قضية تردي السلوك في المجتمع المسلم من خلال كتابه الإرشاد لما فيه من مصالح العباد، وهذا إن دلّ إنّما يدل على اهتمامه بقضايا أمته الإسلامية، فقد عقد في كتابه بابا كاملا عنونه بعنوان باب في السلوك جاء فيه:" أوصيك أيها الأخ بمجالسة الأخيار، الخائفين من الله الأبرار، فإنهم لا يدلونك إلا على ما يرضاه الملك الجبار، الواحد القهار، ولا تصحب من لا يُنهضك حاله، ولا يدلُّك على الله مقاله"[26] وهذه المقولة أخذها من الحكم العطائية لابن عطاء الله السكندري ليدلل مرة أخرى أنه ذو نزعة صوفية سلوكية حتى في نقله للأقوال، ثم واصل توصياته فقال:" واعمل بالكتاب والسنة، والاقتداء بالأئمة ومتابعة الصالحين من هذه الأمة. وألزم نفسك الوفاء بالعهود، وكثرة الركوع والسجود، وأخلص في جميع ذلك نيتك للملك المعبود. وعليك بمجالسة الولي الخاشع، ومعاشرة الوفي الخاشع، وزيارة الساجد الراكع، وأكثر من ذكرك لمولاك فإنّه يسمعك ويراك وكن صادق القول، بريئا من الجهل، كثير الحلم، باحثا عن العلم، رحيما بالمسلمين، عوّانا للغريب، أبا لليتيم. بشراك عند رؤية المسلمين في وجهك، وحزنك على آخرتك في قلبك، مشغولا بفكرك فيما تلقاه في قبرك، مذكّرا للجاهل، ومنها للغافل لا تكشف سرا ولا تهتك سترا. وكن كثير العبادة، آمن الجانب، تحمل إذا جهل عليك، صبورا على من أساء إليك، تودّ الصغير وتوقّر الكبير، آمرا بالمعروف وناهيا عن المنكر، تغضب الله إذا انتهكت حرمة من حرمات الله. تحب المطيعين لله لأجل طاعتهم، وتبغض أهل المعاصي لمعصيتهم، وكن كثير الصيام كثير القيام، قليل الآثام، كثير العمل قليل الزلل، تصوم رغبة وتصلي رهبة. لا ترد سائلا خائبا. أديبا مع الأولياء، تقيل العثرة، لا لعّانا ولا نماما ولا سبّابا ولا حقودا ولا حسودا، واطلب من الأمور أعلاها، واترك عنها رذلها وسفسافها. واعمر الأرض مع الناس بجسمك، واسكن المقابر بقلبك، والبس قميص التواضع، وجرّد ثياب المطامع، وتوكّل على المدبّر الصانع. واحذر من طرقات هواك، ولا تعوّل على غير مولاك، وحط عند بابه شكواك، وإيّاك والركون إلى غيره إياك، وعلّق به في كل الأحيان رجاك، واسأله أن يوفقك لطاعته في دنياك، لتنال بذلك الفوز في أخراك. واهرب من ظلم العباد، وانصحهم بما فيه المصلحة والسداد، وتعلّم الفرائض والسنن والفضائل، فهي لك

[26] ينظر: المصدر السابق، ص72.

عند الله من أعظم الوسائل"[27].

تكلم العلامة عبد الرحمن الثعالبي من خلال هذه الوصايا النافعة والماتعة على جملة من الأمور التي تضبط السلوك الإنساني وتقوم اعوجاجه، فهو عليه رحمة الله كأنّه يعيش بيننا وفي عصرنا، فكل ما أشار إليه من وصايا في الواقع المعاش انتشرت هذه الآفات التي تفهم من كلامه بمفهوم المخالفة، فدعا لحزمة كبيرة من الآداب حتى يكون الإنسان سويا مستقيما نافعا لمجتمعه وليس آفة من الآفات الاجتماعية على مجتمعه، وجملة هذه الوصايا من خلال كلامه هي: اختيار الجليس الصالح والخوف من الله وعدم اختيار الجليس السوء، والعمل بالكتاب والسنة، الاقتداء بسلف الأمة والأئمة الأعلام، الوفاء بالعهد، كثرة الركوع والسجود، إخلاص النية لله عز وجل في الأعمال، عشرة الإنسان ذو الوفاء، كثرة ذكر الله عز وجل، صدق الحديث، التخلص من الجهل، التخلق بالحلم، البحث عن العلم والتزود منه، رحمة المسلمين، معاونة الناس، الرفق باليتيم، الفرح بإخوانك المسلمين، الحرص على الآخرة، التفكير في القبر، تنبيه الغافل، تذكير الإنسان الجاهل وتعليمه، عدم فضح أسرار الناس وسترها، التحلي بكثرة العبادة، أن تكون ملجأ الأمان للناس، التحلي بالصبر على من آذاك، توقير الصغير واحترام الكبير، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كثرة الصوم والقيام، كثرة العمل، عدم السب والشتم واللعن، عدم ارتكاب النميمة، أن لا يكون في قلب الإنسان حسد أو حقد، الرغبة في معالي الأمور، أن يكون الإنسان متواضعا، وأن لا يكون طماعا، التوكل على الله في كل أمورك، الحذر من الهوى، الشكوى لله عز وجل وحده، الدعاء بالتوفيق من الله عز وجل، الحذر من ظلم العباد، نصح الناس بالخير.

*إنّ كثيرا من هذه الخصال التي ذكرها الثعالبي غابت في مجتمعنا المسلم وفي أفراد مجتمعنا المسلم اليوم، حيث انتشرت بين الناس رفقاء السوء وعدم الوفاء بالعهود والمواثيق، غياب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، سوء العشرة بين الناس، كثرة الحسد والغل والبخل والسب والشتم، الاستقواء على الضعفاء.

المطلب الثاني: القضايا الأخلاقية.

يعد الجانب الأخلاقي مهم جدا في الشريعة الإسلامية حيث أنه أهم أعمدة الدين الثلاثة العقيدة والشريعة والأخلاق، وقد وصف القرآن النبي صلى الله عليه وسلم بأنه على خلق عظيم، والنبي صلى الله عليه وسلم أخبر أنه بعث ليتمم مكارم الأخلاق،لهذا فالحفاظ على الأمة يكون بالحفاظ على أخلاقها،

[27] الإرشاد لما فيه من مصالح العباد، ص72-73.

فإذا أردت إخضاع أمة من الأمم فعليك بضربها في قيمها واخلاقها، وهو ما حصل لأمتنا الإسلامية في الوقت المعاصر، لهذا ركّز العلامة عبد الرحمن الثعالبي في كتابه الإرشاد على هذا الجانب المهم، فأورد باب في الحديث عن كظم الغيض، وأورد فصلا في الكلام عن الإثم الذي يلحق صاحب الغيبة والنميمة والكذب، وتحدّث أيضا في باب كامل عن التكبر والتواضع وحفظ الجار والصاحب والإحسان إلى اليتيم والأرملة والمسكين، وهذا كله يدلّل على مكانة الأخلاق في تحصين المجتمع وتماسكه، فمنهج الإمام الثعالبي في معالجة القضايا الأخلاقية السيئة المنتشرة في المجتمع بشكل كبير يقوم على أساس التخلية والتحليه، ومعنى هذا هو أن يستغني الفرد ذاتيا عن الأخلاق الذميمة ويُحليها بالأخلاق السامية الرفيعة، وهذه نماذج لأبواب الأخلاق التي عرّج عليها الثعالبي في هذا الكتاب.

باب ما جاء في من كظم غيظا[28]

روى أبو داود والترمذي والنسائي، عن معاذ بن أنس رضي الله عنه أنّه قال:{ من كظم غيظا وهو يقدر على أن ينفذه دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره في أي الحور شاء}[29]، قال أبو عيسى هذا حديث حسن. وفي رواية أخرى لأبي داود:{ ملأه الله أمنا وإيمانا، ومن ترك لبس ثوب جمال وهو يقدر عليه، قال بشر أحسبه قال تواضعا، كساه الله حلة الكرامة}[30]. وحدّث الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي بسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم أنّه قال:{ من كفّ غضبه كف الله عنه عذابه، ومن خزن لسانه ستر الله عورته، ومن اعتذر إلى الله قبل الله عذره}.

فصل في إثم من اغتاب مسلما أو خذله وفي النميمة والكذب والمراء

أبو داود عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه عن النبي صلة الله أنّه قال:{ يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لا تغتابو المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنّه من اتبع عوراتهم يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته}[31]. ورواه الترمذي ولفظه عن نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما،

---

[28] ينظر: الإرشاد لما فيه من مصالح العبا، ص81.

[29] سنن الترمذي، أبو عيسى الترمذي، أبواب البر والصلة، باب في كظم الغيظ، (ج4، ص372)، رقم:2021، قال الترمذي: حديث حسن غريب.

[30] سنن أبو داود، أبو داود السجستاني، أول كتاب الأدب، باب في من كظم غيظا، (ج7،ص157)، رقم:4777، قال الأرناؤوط: إسناده حسن، وقال الألباني: ضعيف.

[31] سنن أبو داود، أبو داود السجستاني، كتاب الأدب، باب في الغيبة، (ج4،ص270)، رقم:4880، قال الألباني:حديث حسن صحيح.

قال: {صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر فنادى بصوت رفيع فقال يا معشر من أسلم بلسانه ولم يُفض الإيمان إلى قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم فإنَه من يتبع عورة أخيه المسلم يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رَحله}[32] الحديث.

أبو داود عن جابر وأبي طلحة الأنصاريين، رضي الله عنهما، قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: { ما من امرئ يخذل امرأ مسلما في موضع تنتهك فيه حرمته وينتقص فيه من عرضه إلا خذله الله في موطن يحب فيه نصرته، وما من امرئ ينصر مسلما في موضع ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته}[33].

أورد الإمام الثعالبي هذه الأحاديث النبوية لمعالجة قضية الغيبة التي انتشرت انتشارا رهيبا ولا يكاد يسلم منها إنسان في هذه الدنيا، بل أصبحت في واقعنا هي فكاهة المجالس، ثم حذر أيضا الإمام الثعالبي من ظاهرة الكذب في كتابه من خلال استدلاله بالأحاديث التي تحذر من الكذب، وهي:

الترمذي عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: {إذا كذب العبد تباعد عنه الملك ميلا من نتن ما جاء به}، قال أبو عيسى هذا حديث جيد غريب.

أبو بكر بن أبي شيبة عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: {تقبلوا لي بست أتقبل لكم الجنة قالوا وما هي قال إذا حدّث أحدكم فلا يكذب وإذا وعد فلا يخلف وإذا أؤتمن فلا يخن وغضوا أبصاركم وكفوا أيديكم واحفظوا فروجكم}[34].

منهج معالجة الآفات الاجتماعية الأخلاقية عند الإمام الثعالبي هو من خلال الالتزام وتطبيق ما ورد من أحاديث نبوية محذرة من الغيبة والنميمة والكذب.

المطلب الثالث: القضايا الروحية.

نحى الإمام الثعالبي في أغلب كتبه التي ألّفها منحى ركز فيه تركيزا كبيرا على الجانب الروحي للمسلم

---

[32] سنن الترمذي، أبو عيسى الترمذي، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في تعظيم المؤمن، (ج4، ص378)، رقم:2032، قال الألباني: حديث حسن صحيح.

[33] سنن أبو داود، أبو داود السجستاني، أول كتاب الأدب، باب من رد على مسلم غيبة، (ج7، ص245)، رقم:4884، قال الأرناؤوط: إسناده ضعيف.

[34] المستدرك على الصحيحن، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، كتاب الحدود، (ج4، ص399)، رقم الحديث:8067.

وللمجتمع المسلم، حيث تطرّق في كتابه الإرشاد لما فيه من مصالح العباد لعديد القضايا التي تهتم بالارتقاء بالنفس البشرية روحيا وتعينه على التقوى؛ لأنّ الإنسان يتكون من روح وجسد، فالجسد هو وعاء الروح التي تسكن الإنسان، وإذا فسدت روح الإنسان بالشر الداخلي فسيصبح الإنسان عالة وآفة على نفسه وعلى مجتمعه، لهذا جاء هذا الكتاب الذي يشير من عنوانه أنه يرشد الناس والعباد إلى مصلحتهم في الدنيا ليحققوا الفوز في الآخرة، وذلك بتنقية النفس والروح من الشوائب والأكدار التي تتعلق بها، وقد عالج الإمام الثعالبي كثيرا منها في كتابه من خلال دعوته إلى اجتنابها عن طريق إيراد أحاديث نبوية تحذر من عواقب تلك الآفات القلبية والنفسية والروحية الخطيرة على الفرد والمجتمع، في الدنيا والآخرة، وسأورد بعض القضايا الروحية التي تكلم عنها الإمام الثعالبي في كتابه الإرشاد.

باب ما يجب على الإنسان من محاسبة نفسه[35]

قال القرطبي في تذكرته: يجب على كل مسلم البدار إلى محاسبة نفسه، كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه{حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوها قبل أن توزنوا}، وإنّما حسابه لنفسه أن يتوب عن كل معصية قبل الموت توبة نصوحا، ويتدارك ما فرّط فيه من تقصير في فرائض الله عز وجل، ويرد المظالم حبة حبة، ويستحل كل من تعرض له بلسانه ويده وسوء ظنه بقلبه، ويطيب قلوبهم، حتى يموت ولم تبق عليه فريضة ولا مظلمة، فهذا يرجى له إن شاء الله أن يدخل الجنة بغير حساب، وأمّا من مات قبل ردّ المظالم، فإنّه يحيط به خصماؤه، فهذا يأخذ بيده، وهذا يأخذ بناصيته، وهذا يتعلق بلبته.

وقال الثعالبي: وللغزالي رحمه الله نحو هذا، ولفظه، والله أعلم: أن لا ينجو من خطر الحساب والميزان إلا من حاسب في الدنيا نفسه، ووزن فيها بميزان الشرع أعماله وأقواله وخطراته ولحظاته، كما قال عمر رضي الله عنه:{حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوها قبل أن توزنوا} وإنّما حسابه لنفسه أن يتوب قبل الموت توبة نصوحا، ويتدارك ما فرّط فيه من تقصير في فرائض الله عز وجل، ويرد المظالم حبة حبة، ويتحلل كل من تعرض له بلسانه ويده وسوء ظنه بقلبه ويطيب قلوبهم، حتى يموت ولم تبق عليه فريضة ولا مظلمة، فهذا يدخل الجنة بغير حساب إن شاء الله تعالى. ومن وجبت عليه مظالم وقد تاب منها، وعسر عليه استحلال أربابها، فليكثر من حسناته ليوم القصاص، وليسر ببعض الحسنات بينه وبين الله تعالى بكمال الإخلاص، بحيث لا يطلع عليه إلا الله سبحانه، فعسى أن يقربه ذلك إلى الله عزّ وجل

[35] ينظر: الإرشاد لما فيه من مصالح العباد، ص84-85.

فينال به فضله الذي ادّخره لعباده المؤمنين كما رواه أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقد ذكرنا الحديث في كتاب النصائح، وغيره من كتبنا، فانظره، وبالله التوفيق.

باب في ذكر الموت والخوف من الله سبحانه[36]

قال الشيخ عبد العظيم المنذري رحمه الله تعالى: وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنّه قال:{أكثروا من ذكر هاذم اللذات يعني الموت} رواه ابن ماجه والترمذي وحسّنه، وابن حبان في صحيحه، وزاد:{فإنه ما ذكره أحد في ضيق إلا وسّعه الله عليه، ولا في سعة إلا ضيقها الله عليه}.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال، قال النبي صلى الله عليه وسلم:{ أكثروا ذكر هاذم اللذات يعني الموت، فإنّه ما كان في كثير إلا قلّله، ولا قليل إلا جزّأه} رواه الطبراني بإسناد حسن.

وعن أنس رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ بمجلس وهم يضحكون فقال:{ أكثروا من ذكر هاذم اللذات، أحسبه قال: فإنّه ما ذكره أحد في ضيق من العيش إلا وسّعه، ولا في سعة إلا ضيقها عليه} رواه البزّار بإسناد حسن، والبهقي باختصار.

من خلال إيرادي لهذين البابين يتضح الاتجاه الصوفي التزكوي الروحي للإمام الثعالبي في كتابه، فهنا يحث الناس والمجتمع المسلم على ضرورة محاسبة الإنسان لنفسه محاسبة يومية دقيقة تقربه أكثر فأكثر من مولاه وخالقه، والتحذير في المقابل بمفهوم المخالفة من التواكل وعدم محاسبة الإنسان نفسه، وأورد كذلك بابا مهما جدا به يصلح الإنسان روحه وقلبه ونفسه وهو الموت وذكر الموت، فالموت ينبه الإنسان الغافل ويجعل من المجتمع المسلم يتشرب عقيدة أن الله يراقبه ويحاسبه ويأخذ روحه في أي وقت شاء وفي أي مكان شاء.

[36] ينظر: المصدر السابق، ص101-102.

خـــــــــاتـــــــــمـــــــــة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلت إلى ختام هذا البحث، وقد توصلت إلى النتائج الآتية:

1. يعد العلامة عبد الرحمن الثعالبي من كبار علماء الغرب الإسلامي.

2. البيئة التي عاش فيها الإمام الثعالبي هي من أبرز أسباب نبوغه في شتى العلوم الشرعية.

3. يُستحسن لطلبة العلم دراسة سيرة العلامة عبد الرحمن الثعالبي والاقتداء به في طلب العلم.

4. يُستحسن لطلبة العلم أن يضعوا هدفا نُصب أعينهم بأن يُصبحوا علماء كالعلامة الثعالبي.

5. كثرة المؤلفات العلمية تعطي للعالم مكانة خاصة في الساحة العلمية العالمية وهو ما حققه العلام الثعالبي.

5. تميزت مؤلفات العلامة الثعالبي عن غيره من العلماء بالصبغة الصوفية السنية الروحية ككتابه الإرشاد لما فيه من مصالح العباد.

6. غالبية مواضيع كتاب الإرشاد لما فيه من مصالح العباد في الترغيب والترهيب والتزكية الروحية.

7. يعد كتاب الإرشاد لما فيه من مصالح العباد من أفضل الكتب الصوفية السنية التي عالجت مختلف الآفات الاجتماعية عن طريق الترغيب والترهيب من خلال القرآن والسنة.

8. عالج العلامة الثعالبي في كتابه الإرشاد الآفات الاجتماعية السلوكية بمنهج علمي رصين يُقوّم السلوك

9. يمثل كتاب الإرشاد لقارئه أحد أعمدة الكتب الروحية التي تُوصل رسالة التزكية الروحية للقارئ والمستمع له إلى قلبه.

التوصيات:

1. عقد ملتقيات دولية تجمع بين الجامع والجامعة لمجابهة مختلف الآفات الاجتماعية.

2. دراسة كتب العلامة الثعالبي المطبوع منها في الرسائل الجامعية، وتحقيق المخطوط منها، والبحث عن المفقود وإخراجه للنور.

قائمة المصادر والمراجع

1.الإرشاد لما فيه من مصالح العباد، عبد الرحمان الثعالبي، حقق أصوله وقدّم له: محمد فؤاد بن الخليل القاسمي الحسني، الناشر: عالم المعرفة، الجزائر، سنة:2011م.

2.تاريخ الجزائر العام، عبد الرحمان محمد الجيلالي، الناشر: مكتبة الشركة الجزائرية-دار مكتبة الحياة، الطبعة:2 ،الأجزاء:2، الجزائر، سنة: 1384هـ-1965م

3.جامع الأمهات في أحكام العبادات، عبد الرحمان الثعالبي، دراسة وتحقيق: د. موسى إسماعيل، الناشر: عالم المعرفة، الأجزاء:2، الجزائر، سنة:2011م.

4.الجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمان الثعالبي، تحقيق: محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة:1، بيروت، سنة:1418هـ.

5.سنن أبي داود، أبو داود السجستاني، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، عدد الأجزاء:1.

6.سنن أبي داود، أبو عبد الله سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني، تحقيق: شعَيب الأرنؤوط - محَمَّد كامِل قره بللي، الناشر: دار الرسالة العالمية، عدد الأجزاء: 7، الطبعة:1، سنة:1430هـ - 2009م.

7.سنن الترمذي(الجامع الكبير)، أبو عيسى الترمذي، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة:1، عدد الأجزاء:6، بيروت، 1996م.

8.سنن الترمذي، أبو عيسى الترمذي، تعليق وتحقيق: أحمد شاكر(ج2,1) ومحمد فؤاد عبد الباقي(ج3) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (ج5,4)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة:2، عدد الأجزاء: 5، مصر، سنة:1395هـ-1975م.

9.شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن محمد بن سالم مخلوف، تعليق: عبد المجيد خيالي، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة:1، الأجزاء:2، لبنان، سنة:1424هـ-2003م

10.صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: جماعة من العلماء، الطبعة: السلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية بأمر السلطان عبد الحميد الثاني ثم صورها بعنايته:د. محمد زهير الناصر، وطبعها الطبعة الأولى لدى دار طوق النجاة- مع إثراء الهوامش بترقيم الأحاديث لمحمد فؤاد عبد الباقي، والإحالة لبعض المراجع المهمة، عدد الأجزاء:9، مصر- 1311هـ،بيروت-1422هـ.

11.الفكر السامي في تاريخ الفكر الإسلامي، محمد بن الحسن الحجوي، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة:1، الأجزاء:2، بيروت-لبنان، سنة:1416هـ-1995م.

12.المستدرك على الصحيحن، أبو عبد الله الحاكم مع تضمينات الذهبي في التلخيص والميزان والعراقي في أماليه والمناوي في فيض القدير وغيرهم، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة:1، بيروت، سنة:1444هـ-1990م.
13.معجم أعلام الجزائر مِن صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، عادل نويهض، الناشر: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، الطبعة:2، بيروت-لبنان، سنة:1400هـ-1980م.
14.معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، الناشر: مكتبة المثنى-دار إحياء التراث العربي، الأجزاء:15، بيروت.